لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لك لا شريك لك قال الله تعالى
يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل
ان تسالوني واجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان
تستغفروني من جاء يوم القيمة بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي
ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر تنبيه
قال البيضاوي لعل المراد به اي بقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ
نادينا وقت ما اعطاه التوراة وبالاول اي بقوله تعالى وما كنت بجانب
الغربي اذ قضينا حيث استنباه لانهما المذكوران في القصة وقوله تعالى
لتنذر اي لتخذر تحذيرا كثيرا قوما اي اهل قوة وجدة لبعث بهم عايق
عن اعمال الخير العظيمة الا الاعراض عنك وهم العرب ومن في ذلك الزمان
من الخلق يتعلق بالنقل المحذوف ما اتاهم وعم النفي بزيادة الجار في
قوله تعالى من نذير وزيادة الجار في قوله تعالى من قبلك يدل على
الزمن القريب وهو زمن الفترة بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام
وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحو هذا قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم وقيل ليس المراد زمن الفترة بل ما بينه وبين اسماعيل عليهما السلام
على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرايل وما حولهم
لعلهم يتذكرون اي يتعظون ولولا ان تصيبهم اي في كل وقت من
الاوقات مصيبة اي عظيمة بما قدمت ايديهم اي من المعاصي التي
قضينا بانها لا يعفى عنه فيقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا لولا
اي هلا ولم لا ارسلت الينا اي على وجه التشريف لنا لنكون على علم
بانا مما يعتني الملك الاعلى به رسولا واجاب للتخصيص الذي يشبهونه
بالامر ليكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله تعالى فنتبع اي
فتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع اياتك ونكون اي كونا هو في غاية
الرسوخ من المومنين اي المصدقين لك في كل ما اتى به عنك رسولك
تنبيه لولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف تقديره كما قال الزجاج
ما ارسلنا اليهم رسولا يعني على ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة
عللهم بهذا القول فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
والثانية تخصيصية ويتبع جوابه كالامر نصب باضمار ان فان قيل
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب لا القول
لدخول حرف الامتناع عليه دونه اجيب بان القول هو المقصود
بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول
وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها للارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية

تم ذلك ٣

معنى

٥١

معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم
مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم
يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجوابه الى العلم اليقين ببطلان
دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من
الايمان بخالقهم وهو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كان التقدير
ولكنا ارسلناك بالحق لقطع حجتهم هذه بنا عليه فلما جاءهم اي اهل
مكة الحق اي الذي هو اعم من الكتاب والسنة وما يقاس عليهما وهو في
نفسه جدير بان يقبل لكونه في ذروة العليا من الثبات فكيف وهو
من عندنا على ما لنا من العظمة وهو على لسانك وانت اعظم الخلق
قالوا اي اهل الدعوة من العرب وغيرهم تعنتا وكفرا به لولا اي هلا
ولم لا اوتي اي هذا الاتي بما يزعم انه الحق من الايات مثل ما اوتي موسى من
الايات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما من كون الكتاب انزل عليه جملة
واحدة قال الله تعالى اولم يكفروا اي العرب ومن بلغته الدعوة من بني
اسرائيل ومن كان مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى بما اوتي
موسى عليه السلام من قبل اي من قبل مجيء الحق على لسان محمد صلى
الله عليه وسلم ولما كان كانه قد قيل ما كان كفرهم به قيل قالوا اي فرعون
وقومه ومن كفر من بني اسرائيل سحران اي موسى واخوه عليهما السلام
تظاهرا اي اعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزا فغلبا
جميع السحرة وتظاهرا الساحرين من تظاهر السحرين على قراءة الكوفيين
بكسر السين وسكون الحاء وقرا الباقون بفتح السين وكسر الحاء والف
بينهما تنبيه يجوز ان يكون الضمير لمحمد وموسى عليهما الصلاة
والسلام قال البقاعي وهو اقرب وذلك انه روي ان قريشا جاءت
الى يهود فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم
فقالوا هذه المقالة فيكون الكلام استينافا لجواب من كانه قال ما كان
كفرهم بهما فقيل قالوا اي العرب الرجلان ساحران او الكتابان ساحران
ظاهر احدهما الاخر مع علم كل ذي لب ان هذا القول زيف لانه لو كان شرطا
اعجاز السحر التظاهر لكان سحر فرعون اعجز اعجازا لانه تظاهر عليه جميع
سحرة بلاد مصر وعجزوا عن معارضة ما اظهر موسى عليه السلام من
اياته كالعصا واما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا اهل الارض من الجن
والانس الى معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا فعجزوا عن اخرهم ولما تضمن قولهم ذلك الكفر صرحوا به وقالوا اي
كفار قريش انا بكل اي من الساحرين او السحرين اللذين تظاهرا بهما

Copyright King Saud University